مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 3 السنة: 2021
ص: 101 - 125 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الْحَرَكَةُ الثَّقَافِيَّةُ فِي مَنْطِقَةِ وَادِي رِيغ (الشِّعْرُ الْمَلْحُونُ نَمُوْذَجًا)

The Cultural Movement in the Wadi Righ valley Region (colloquial poetry as a Model)

د. صلاح الدّين باوية *

Salah edinne Baouia

مخبر الدراسات الاجتماعية اللغوية، الاجتماعية التّعليمية، الاجتماعية الأدبية

جامعة محمّد الصّديق بن يحي جيجل، (الجزائر)

University of Djijel- Algeria

baouia_s@univ-jijel.dz

تاريخ الإرسال:2020/11/06	تاريخ القبول:2021/05/12	تاريخ النشر:2021/09/02

مُلخّص البحث

تقع منطقة وادي ريغ بالجنوب الشّرقي الجزائري وعاصمتها تقرت، وهي منطقة عبور بامتياز ضاربة بجذورها في أعماق التّاريخ. حكمها سلاطينُ بني جلاّب حوالي أربعة قرون ونيف (من 1450م إلى 1854م) حتى دخول الاستدمار الفرنسي. وربما توسَّع حكمُ بني جلاّب إلى نفطة شرقًا، وأولاد جلال شمالاً، وأنقوسة جنوبًا، والقرارة ومسعد غربا. عرفت هذه المنطقة بتراثها المادي واللاّمادي من ذلك: "القصور، زراعة النّخيل، الحضرة والعمّارية، المدائح النّبوية، الفروسية، نظام العزّابة الذي طبق لأول مرةٍ في وغلانة بجامعة، والشّعر بنوعيه الفصيح والملحون". الهدف من هذه الدّراسة هو محاولة تبيان ماهيَّة الحركة الثّقافية بمنطقة وادي ريغ، وبمَا تأثّر الشّعر الملحون؟ وما هي أهمّ موضوعاته وخصائصه الفنّية؟. كلّ هذه الأسئلة وغيرها، نحاول الإجابة عنها من خلال هذه الدّراسة.

الكلمات المفتاحية: الحركة، الثّقافية، وادي ريغ، الشّعر، الملحون، النّشأة، الخصائص.

Abstract :

The region of Wadi Righ- the capitat of which is Tougourt- is located in the southeast of Algeria. This region deep- rooted in history was ruled by the Sultans of Bani jalab for about four and a half centuries (from 1450 AD to 1854 AD) until the beginning of the destructive French occupation .Perhaps the rule of Bani jalab expanded to encompass Nefta in the east, and the Oulad jalal in the north, and Anqusa in the south, and al – Qarara and Musaad in the west . The region was known for its tangible and intangible heritage, including palaces, palm cultivation, the sufi Hadra and Amarya

* صلاح الدّين باوية. baouia_s@univ-jijel.dz

rituals. Prophetic praises , horsemanship , the Azaba system which was put into practice for the first time in Woglana and Djammaa , and poetry in both colloquial and standard Arabic. The aim of the present study is to attempt to identify the nature of the cultural movement in the Wadi Righ valley region as well as to determine the themes and the esthetic characteristics of colloquial poetry including the factors that might have influenced it.

Keywords: the cultural movement, wadi Righ, potry, colloquial poetry , Origin, evolution

أولاً- الحركة الثّقافية في منطقة وادي ريغ:

إنَّ منطقة وادي ريغ التي تقع في الجنوب الشرقي الجزائري هي منطقة عبور منذ القديم ولذا- كانت ومَا تزال- تمرُّ بها قوافل المسافرين من مختلف جنسياتهم ومشاربهم إلى وجهات متعدِّدة، ممَّا جعل وادي ريغ واحة للرَّاحة والتَّزود بجميع الاحتياجات الضَّرورية لمواصلة رحلة السَّفر عبر الصَّحراء السَّاحرة. ومن هذا المعطى، فبلا شكٍّ أنَّ كثيرًا من العلماء والمفكّرين والفنَّانين قد زاروا، أو مرُّوا – على الأقل- بهذه المنطقة، "باعتبار أن المنطقة كانت مركز عبور لقوافل الحجيج القادمين من الغرب، وبالتالي استقرَّ بها بعض الصَّالحين والدُّعاة مثل: سيدي علي كانون، وسيدي بودرهم، وسيدي محمد بن يوسف الينبعي الزارعي، وسيدي محمد بن يحي السَّطايفي، وسيدي بوحنية، وبالتالي تطورت الواحة وكثر فيها العمران وأصبحت بيئة خصبة للدُّعاة الذين حاولوا نشر مذاهبهم المختلفة"[1]. وهذا بعد سقوط دولهم، وانهيار وضعف الدّول التي كانت تابعة إليها واحات وادي ريغ، لاسيما الرّستميين، والأدارسة، والفاطميين. ولذا فقد "كانت لقوافل الحُجَّاج التي تمرّ بالإقليم دورًا كبيرًا في التَّنشيط العلمي خصوصًا أولائك الذين وهبوا أنفسهم للعلم، فكثير من العارفين اختاروا الإقامة بهذه المنطقة للتَّعليم والتَّدريس لما وجدوا من إقبال وإجلال للعلم والعلماء، إلاَّ أنَّ أثرهم اندثر ومجهوداتهم ضاعت لعدم تدوينها خصوصًا في العهد التركي وقد اشتهر من العلماء الوافدين على المنطقة ودرَّسوا بها نجل المجاهد والدَّاعية الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي اعتكف بالمسجد الكبير بتقرت يدرس ويعلِّم"[2]. ولهذا اهتمَّ الرّحالة والمؤرِّخون القدامى بمنطقة وادي ريغ، فجاء ذكرها في كتاباتهم، ومنهم: ابن خلدون، والعيَّاشي في رحلته والعدواني في تاريخه، كما ذكرها بعضُ المستدمرين مثل: شارل فيرو

(Ch Feraud)، وفيرناند فيليب (Fernand Philip)، ودوماس (Doumas)، ومالتسان فون وغيرهم.

هذا وقد نالت منطقة وادي ريغ اهتمام بعض الباحثين المعاصرين من أبنائها، أمثال: الشّيخ عبد المجيد حبَّه، والشّيخ محمد الطاهر بن دومة، والأستاذ محمد السَّعيد فوزي بوبكر والأستاذ عبد الحميد إبراهيم قادري، هذا الأخير الذي عبَّر في كتابه التَّعريف بوادي ريغ عن هذا الحراك الثّقافي الذي شهدته هذه المنطقة قائلا: "عرفت المنطقة حياة علميَّة ونشاطات تعليميَّة كثيفة كبقيَّة المناطق من الوطن الجزائري الكبير، إلاَّ أنَّ هذه الحركة لم تظهر آثارها التي تدلُّ عليها دلالة واضحة أو تكشف عن خصوصيتها، وذلك لعدم تدوينها وتوثيقها "[3].

ولكن شيوع ثقافة المشافهة وعدم التَّدوين أمرٌ ليس بجديد، ولا ينسحب عبر تاريخِنَا الطَّويل على منطقة وادي ريغ فقط، بل على الجزائر برُمَّتِها في مرحلة من مراحل تاريخِها الغابر هذا إن لم نقل على كافة سكان المغرب العربي عامة، ولعلَّ هذا ما قصده المؤرِّخ الجزائري: أبو القاسم سعد الله (رحمه الله)، حينما عبَّر عن الخوف من التاريخ، وبأنّنا شعب لا يهتمُّ بالكتابة والتَّدوين. حدَّد الباحث عبد الحميد إبراهيم قادري أنَّ "أزهى فترة علميَّة عرفتها هذه المنطقة هي تلك الفترة التي تواجد فيها السَّادة الإباضية في ظلِّ حكم الأئمة الرُّستميين، ومن تأثَّر بمنهجهم من بعدهم، ففي هذه الفترة عمَّ العُمران، وكثُرت الجنَّات والبساتين بمزروعاتها المختلفة وإنتاجاتها المتنوعة قبل أن يقتحمها بنو ابن غانية المسوفي الميروقي الذين جلبوا على إفريقيا في حملتهم ضدّ الموحّدين"[4]. ولعلَّ ممَّن عرفوا بالعلم ونبغوا فيه، في هذه الفترة "– الإباضية التي امتدت إلى القرن الثامن الهجري– علماء يشهد لهم بالعلم والفتوى منهم: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المولود عام 340 هجري(بتنسلي) بلدة عمر أو(تنعمر) وقد تنقَّل هذا العالم في عدد من البلدان لطلب العلم، وتلقَّى العلم على عدد كبير من الشّيوخ الفحول المشهورين أمثال: سعيد بن زنغيل، وأبي زكرياء"[5]. حيث تجدر الإشارة إلى أنَّ هذا "الرَّجل هو الذي عقد الحلقة بوغلانة لأوَّل مرَّة، وأرسى قواعدها وأقام نظام العزَّابة المعمول به في وادي ميزاب إلى يومنا هذا، وقد تخرَّج على يديه عدد كبير من العلماء الأجلاَّء الكبار منهم: أبو الرَّبيع سليمان بن يخلف المزاتي المتوفى عام 471 هـــ وابنه أبو العباس أحمد بن محمد المتوفى 504 هـــ صاحب الكتاب النَّادر"القسمة وأصول الأرضين" الذي حقَّقه الشّيخ بكير ين بابا والدّكتور محمد ناصر"[6]. وإلى جانب أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، فقد برز علماء آخرون– قديما– في منطقة وادي ريغ. هؤلاء العلماء القدامى"ومنهم

أبو محمد ماكسن بن بكر، وعبد الرحمان بن معلى الذي أسَّس الحلقة بمسجد تقرت، ومنهم أبو نوح يوسف، وابنه زكريا الذي انتقل مع بعض أهله وذويه من تنسلي إلى توغلانت فاستقبلهم أهلها بالتِّرحاب، وبوّؤوهم مكانة عالية في نفوسهم، ومن حبِّهم لهم أقطعوهم أنواعا من الأملاك من دور للسَّكن وبساتين النَّخيل، إجلالا واحتراما لعلمه، وهذه ميزة من ميزات سكان وادي ريغ يجلُّون العلماء، إلى درجة أن يكونوا لهم عبيدًا"[7]. أمَّا في عهد بني حمَّاد– وحسب ما ذهب إليه الباحث عبد الحميد إبراهيم قادري– فقد اشتهر "هارون بن النضر الرِّيغي، فبالرغم أنه كان أمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، لكنَّه كان يحفظ كتاب البخاري وكتاب الموطأ وكتاب التَّلقين لعبد الوهاب البغدادي في مذهب الإمام مالك على ظهر قلب(*). ويحكي عنه أبو طاهر بن سكينة، أنه كان يتحلّق حوله طلاَّبُ العلم فيلقّنهم المدوَّنة، وبعض كتب المذهب"[8] المالكي. ولا يمكن أن نغضّ الطَّرف عن الحركة الثَّقافية في فترة حكم سلاطين بني جلاب، هذه الفترة التي شهدت بعض الإشعاعات الثَّقافية، رغم الإضطرابات المتمثِّلة خاصة في الحملات من أجل انتزاع المشيخة. ففي فترة حكم بني جلاَّب، فقد"اهتمَّ بنو جلاَّب بنشر الثَّقافة والعلم وقراءة القرآن والتَّفقه في الدِّين وفتحوا إمارتهم للفقهاء والمفكرين فصارت ملجأ للعلماء المضطهدين أمثال: محمد بن عبد الكريم المغيلي التِّلمساني"[9]. بل نجد الجلالبة "اهتموا بالعلم فأرسلوا أولادهم للتعلُّم، كما فعل أحمد جلاَّب، عندما أرسل محمدًا وإبراهيم إلى حاضرة قسنطينة للتَّعلم على يد عبد الكريم الفكّون التيمي(ت988هـ/1580م)، و لم يكتفوا بهذا بل قرَّبوا منهم العلماء..."[10].

إضافة إلى ما سبق وممَّا يبيِّن أيضًا شدَّة تعلّق أهالي منطقة وادي ريغ بالعلم والعلماء منذ القديم، ما أفرده إبراهيم بن محمد السَّاسي العوامر في كتابه: "الصُّروف في تاريخ الصّحراء وسوف"، حيث خصَّص حديثًا مطولاً عن أعلام العلم بتقرت عاصمة وادي ريغ، مادحًا مميزات أهلها بقوله: "يمتاز أهلُ تقرت ومنطقتها بانتشار الثقافة الحديثة بينهم، والأسلوب الحضاري في العيش، وحبِّهم للعلم والعلماء. فقد نشأت بمنطقة تقرت منذ القدم حركات ثقافية كانت أولاً من الدَّاخل لوجود روح إسلامية لدى أهليها، ثم تغذَّت هذه الرُّوح بفضل الصلة الثَّقافية العميقة الجذور عبر التَّاريخ بين واحة تقرت ووادي سوف من ناحية، وبين واحات تقرت والجريد التّونسي من ناحية أخرى"[11] ، وأثناء حديث إبراهيم محمد السَّاسي العوامر عن العلاقة الثَّقافية الممتدة بين علماء تقرت وعلماء وادي سوف من جهة، وعلماء تقرت وعلماء تونس من جهة ثانية، راح يعدِّدُ الأُسَر العلميَّة الموجودة بمنطقة تقرت وتماسين على وجه الخصوص. وفي حديثه عن هذه العلاقة الثَّقافية الممتدّة عبر التاريخ راح يقول:

"فكان علماء وادي سوف ونفطة وتوزر يفدون أفرادًا وجماعات إلى تقرت وضواحيها. وأذكر على سبيل المثال الشّيخ مبارك المازقي التّوزري الذي كان يقدم كلّ سنة إلى بلدة تماسين إحدى واحات تقرت، ويترل بمحل المرحوم الشّيخ الفاضل أحمد بوبكري، إذ كان هذا الأخير أيضًا فقيهًا ومُحقّقًا ومُحبًّا للعلم والعلماء، الأمر الذي جعله يخصّص مترلاً للوافدين من علماء وادي سوف والجريد التّونسي"[12]. ومن المتعارف عليه أنّ مدينة تماسين، بها مقر الزّاوية التّجانية، هذه الزّاوية التي لعبت دورًا فعالاً في تنشئة الأجيال على المبادئ الإيمانية والأصالة العربية، والحفاظ على الثّقافة الإسلامية ولذا كان لهذه الزّاوية أهمية كبرى في دفع الحركة الثّقافيّة والتّعليميّة بمنطقة وادي ريغ، ولذا أثنى صاحبُ الصُّروف ثناءً كبيرًا على الدّور الحضاري الكبير الذي لعبته هذه الزّاوية التّجانية في الإشعاع الفكري.
وممّا ذكرهُ عن بعض الأسر العلميّة المحبّة للعلم والعلماء بتماسين قوله: " كما توجد ببلدة تماسين أسرة علميّة ماجدة هي أسرة المرحوم الشيخ أحمد الزكيزكي، عالمًا وأديبًا ومتصوِّفًا وَرِعًا، وقاضِيًا عادلًا مُحبًّا للعلم وأهلِهِ، وكان قد خصَّص هو كذلك دارا لترول العلماء تسمَّى دار لالة مامه. وبنفس البلدة أسرة علمية هي أسرة بالربح اشتغل كثير من أفرادها بالقضاء والتّدريس"[13]. بل نجد كثيرًا- من أبناء الأسرة التّجانية تحديدًا- ممَّن نبغوا في العلم والصّلاح، وهؤلاء "منهم الشّيخ التّجاني محمد الصّغير، الذي امتاز بسمة العلماء من تواضع وبساطة ودماثة أخلاق، وكان يدرِّس الفقه والتّفسير والحديث والنّحو والصّرف، في مكان ضريح الشّيخ الحاج علي التّماسيني، ومنهم الشّيخ محمد السّايح الذي عُرف برقّة شاعريته، فكان شعرهُ على غرار البحتري وابن زيدون، وهو مع ذلك ناثرًا على غرار الجاحظ وابن قتيبة، ويعتبر هذا الأديب من أكبر أصدقاء الشّاعر التّونسي الشّيخ العربي الكبّادي"[14].

بل إنّنا نجد كثيرًا من طالبي العلم ممن تحصّلوا على إجازات علميّة من قبل علماء وادي ريغ عبر مختلف العصور. وفي هذا الشّأن يذهب الباحث "محمد الحاكم بن عون"، إلى أن الشّيخ الطّاهر بن دومة في مخطوطته -أخبار وأيام وادي ريغ- قد نبَّه إلى "سيادة الأدب القومي خاصة لدى أولاد رؤساء القرى، وذكر الحركة الثّقافية، ونيل الإجازات من علماء وادي ريغ فيذكر بن دومة قدوم العيَّاشي صاحب الرِّحلة، الذي زار المنطقة وأخذ الإجازة عن الحاج عيسى التماسيني (...) وكذلك إجازة عمَّار بوسنّة المجاز من قبل الحاج مبارك المكناسي، في نصف القرن الأول من سنة 1296هـــــــــ/1880م، أما الإجازة التي ذكر نصّها كاملًا كانت لمقدم زاوية سيدي العابد (الزاوية العابدية) بوقنور إبراهيم بن أحمد الزّاوي، الذي أجازه الشّيخ محمد الزّواوي بن الحاج مبارك،

شيخ مشايخ الطّريقة العمّارية بقالمة"[15]. بل تذكر بعض المصادر أن العيّاشي صاحب الرِّحلة، قد مدح أحد أمراء بني جلاب، وهو الشّيخ أحمد في أبيات من جملة ما جاء فيها:

لهُ محاسن الْـــخِلالِ التي إحْصَاؤُها يُعجزُ من عدَّدَا
لازلْتَ تُحي دارسَ العلمِ في أزمنَةٍ قد قلّ بهَا الـــهُدى
أبْقَاكَ ربيِّ للعُلا صَاعدًا ومُرْشِدًا في فعلهِ رشَدَا[16]

أمَّا في العهد المعاصر فقد اشتهر كثيرٌ من علماء وادي ريغ، ممَّن تركوا إسهامات جدّ معتبرة، وفي مختلف العلوم- لكن للأسف ما تزال هذه الأعمال مخطوطة- و لم يطبع جلّها لحدّ الآن. ومن بين أهمِّ هؤلاء العلماء: العلاّمة الشّيخ عبد المجيد حبَّه، والعلاّمة الشّيخ الطاهر العبيدي، وشقيقه الشّيخ أحمد العبيدي، والشّيخ الطاهر بن دومة وغيرهم، رحمهم الله جميعًا. هذا ويجدر الحديث إلى أنَّ بعض علماء منطقة وادي ريغ، قد تخطّت شهرتهم التُّراب الوطني، ووصلت إلى العالمية. و- على سبيل المثال لا الحصر- نذكر عالم الإلكترونيات ابن مدينة المغيَّر البروفيسور بلقاسم حبَّه، أطال الله عمرهُ. من كلِّ ما ذكرناه يبرز جليًّا مدى غنى الحركة الثّقافية بمنطقة وادي ريغ عبر التّاريخ، لكن للأسف لم تدوّن هذه الحركة وبقيت الثّقافة السّائدة في هذه المنطقة هي الثّقافة الشّفاهية، التي لا تعرف الكتابة والتّدوين، وإن وجدت الكتابة فهي حبيسة الأدراج في مخطوطات تآكلت صفحاتها مع مرور الزّمن.

ثانيًا- بدايات الشِّعر الملحون بمنطقة وادي ريغ:

ممَّا لاشكَّ فيه، إنَّ الشِّعر الملحون كان متواجدًا بمنطقة وادي ريغ منذ القديم، فهو متجذِّرٌ في هذه المنطقة شأن عديدٍ من مناطق وأقاليم هذا الوطن الضَّارب بثقافته عبر التاريخ. لكن ممَّا لا يمكن التَّكهّن به، هو متى كانت إرهاصاته وبداياته الأولى بهذه المنطقة؟ ذلك أن بداياته الأولى قد خفيت وطويت في أغوار التّاريخ، شأنه شأن بدايات الشِّعر العربي الفصيح في مرحلة ما قبل حرب البسوس. ولقد اختلف الباحثون— كما هو معروف- في شأن البدايات الأولى للشِّعر الملحون بالجزائر، فمنهم من قال: إنَّها بعد الفتح الإسلامي مع دخول الهلاليين إلى شمال إفريقيَّا ومنهم من قال بمجيء الأندلسيين بعد سقوط الأندلس، ومنهم من ذهب إلى أنَّ السُّكان الأمازيغ قد عرفوا مثل هذا اللّون من الشِّعر. المهمّ من المؤكّد أنَّ الشِّعر الملحون في منطقة وادي ريغ، قد ارتبط بالتَّصوّف والطّقوس الدِّينية، والحياة عامة، وبما يعرف بـــ: "الحضرة" و"العمَّارية". حيث شاعت في المنطقة منذ القديم: (حضرة رجال الملاح، حضرة رجال الحشَّان، حضرة بورخيص بالمقارين حضرة جامعة، حضرة رجال الكدى،

حضرة رجال العريانة...الخ). فكانت هذه التَّظاهرات مناسبات يلتقي فيها أهالي وادي ريغ لأجل إصلاح ذات البين، وتسويق منتوج التّمور. ويذهب بعضُ المهتمِّين، والمنشغلين بتاريخ منطقة وادي ريغ، ومنهم الأستاذ الباحث والمُفتّش في التَّعليم: "بوعلام بادو"، إلى أنَّ من بين قصائد الشِّعر الملحون التي عرفت بمنطقة وادي ريغ في القرن السَّادس عشر ميلادي(16م)، قصائد الشَّيخ: (سيدي قاسم الدَّندوقي) وأولى قصائده، قصيدته التي مطلعها:

بِاسْمكْ نَبْدا، يَا ربِّي وَبِاسْمِ الْعَرْبِي مُحَمَّدْ

والتي قيل أنشدها أثناء عملية التَّويزة، ساعة بناء مترله بـــ: (الرَّقُوبة)[17].

وسيدي قاسم الدَّنْدُوقي هذا هو رجُلٌ صَالِحٌ، أصيلُ قرية (دنْدوقة)، بالقرب من المغيَّر. عاش في القرن السَّادس عشر ميلادي. انتقل إلى تقرت، وبالضَّبط إلى تَبسْبَستْ، وكلمة تبسبست بالأمازيغية تعني: (النَّاموس) حيث سكن سيدي قاسم الدَّنْدُوقي في البداية منطقة: "السَّباخ" ونظرا لكثرة النَّاموس صعد إلى منطقة "الرَّقوبة" من الجهة الجنوبية، وهي منطقة مراقبة سنة 1516م. ونظرًا لعلوٍّ وارتفاع هذه المنطقة، كانت بمأمن عن النَّاموس، فاستحسن السُّكانُ الأمر وتبعوهُ حتى أصبحت منطقة "الرَّقوبة" عامرةً، لاسيما جهتها الجنوبية، ثم زادت فعمرت أيضًا جهتُها الشَّمالية، فأصبحت تعرف: بأولاد زائدة، ومنه يعتبر سيدي قاسم الدَّنْدُوقي: هو باعثُ تَبسْبسْت الحديثة، ومؤسِّس "حضرة رجال الملاح"، والتي من أهمِّ أهدافها إصلاح ذات البين بين أبناء وادي ريغ. ولذا يعتبر من أولياء الله الصَّالحين. ومن قصائده المشهورة، قصيدته التي تردّد في حضرة رجال الملاح:

غيـــرْ أولِياءَ اللهْ وَرْجَالَ الْحَشَّانْ مجْمُولة
أولادكُمْ هـــُمَلاءْ وللِّي فيهَ الْخيرْ يتْولَّ

وأيضًا قصيدته المعروفة: "عايروني بيك"، وهي قصائد تردّد إلى اليوم (*)[18]

ومن بين أقدم القصائد التي حصلنا عليها، قصيدة تعود إلى سنة 1341 هجري، وهي قصيدة القايد الأحمر الذي كان بالمقارين. ومطلعها:

يَا ربِّ صلِّ وسَلِّـــمْ عَنْ طَهَ النَّبِي الْـــمُعَظَّمْ
شَافعنَا زَينَ الْخَاتَمْ مُحمَّدْ صَاحَب الفُرْقَانْ

حيث يتغنَّ الشَّاعر في هذه القصيدة بالأولياء الصَّالحين أصحاب القبور والأضرحة، عبر كافة منطقة وادي ريغ، ولا غرو في ذلك فسكان وادي ريغ، هم أقرب إلى التَّصوف والزّهد والحياة القاسية

التي تقوم على زراعة النَّخيل، ولأنّ المنطقة عرفت عدَّة طرق صوفية منذ القديم فقد شاع فيها كثير من المدائح ومناجاة الأولياء الصَّالحين.

وهناك قصيدة قديمة جدًّا ربَّما أقدم من سابقتها تُعرف بـــ: "التَّشواق"، لا نعرف تاريخها بالضَّبط، ولا صاحبها، كما أننا لم نعثر عليها لحد الآن.

ثالثًا-ارتباط الشِّعر الملحون بالحركة الدِّينية: (التَّصوُّف، الحضرة، الغناء والإنشاد):

إنَّ منطقة وادي ريغ عرفت عديدًا من الطُّرق الصّوفية منذ أمدٍ بعيد، ولعلَّ أهمها: الطريقة التِّجانية، والطَّريقة القادرية، والطَّريقة العزوزية (الرَّحمانية)، والطريقة الخونية، والطَّريقة العمَّارية، غير أن الطريقة التّجانية هي المسيطرة ويتواجد مقرها في تماسين. وإلى جانب هذه الطّرق الصّوفية نجد أيضًا الزَّوايا، ومنها الزَّاوية التِّجانيَّة، والزَّاوية العابديَّة، والزَّاوية الهاشميَّة، كما نجد زاوية سيدي خليل، وزاوية سيدي راشد، وزاوية سيدي مبارك الصَّايم. ونظرًا لأهميَّة هذه الزَّوايا والطُّرق الصّوفية في الحفاظ على الشَّريعة الإسلاميَّة السَّمحة فقد أشار إليها الشَّاعر: صلاح الدين باوية في إلياذة وادي ريغ قائلًا على بحر الوافر:

زَوايَا ها هُنا وهُناكَ شَاعتْ تُشعُّ الفِكْرَ والعِلْمَ اسْتِقَامَا
طَرائقُ في الشَّريعَةِ بَاديَاتٌ وتعْتنِقُ التَّصوُّفَ والصِّيَامَا[19]

هذه الزَّوايا والطُّرق الصّوفيَّة كان لها أثرها على الإنتاج الأدبي والشِّعري على وجه الخصوص، حيث صبغته بمسحة من العاطفة الدِّينية والزُّهد في ملذَّات الحياة.

فتغنَّى شعراء الملحون بعديدٍ من قصائد التَّصوف، التي تزهّد في الحياة وتذكّر بالموت والآخرة والتزوّد بالتّقوى والاستعداد ليوم الرَّحيل. وفي هذا المجال اشتهرت قصيدة الشَّاعر المتصوّف الأخضر بن عبد القادر الرَّاشدي، ومطلعها:

كُولي كُولي يَا دُودَةْ كُولي لَحْمِي وَاعْضَايَا
خلِّيلي غيـــرَ لْسَانِي بَـــــــاهَ انْقابَـــلْ مُولايَا

ومثلما ارتبط الشِّعر الملحون في منطقة وادي ريغ بالتَّصوُّف، فقد ارتبط بالحضرة أيضًا. فرجال الملاح (لَمْلاح) -على سبيل المثال- هم رجال التَّقوى، وأهل الله وحفظة كتابه المُبين مفردها الرَّجلُ المليحُ، وهو الرَّجل الحسن الأخلاق. يتشكَّل مجلس الرّجال الملاح من حفظة القرآن الكريم، وأهل الورع والتَّقوى، وكان لكلِّ قصر من قصور وادي ريغ ممثِّله الخاص به: ويُسمَّى"لَمْقدَّم"، وهناك

"مقدَّم لَمْقاديم". ويقال على لسان المهتمِّين بتاريخ المنطقة، إنَّ حضرة رجال الملاح (لَمْلاح) يرجع ظهورها إلى بداية القرن (16) ميلادي حيث ارتبط ظهورها بالولي الصَّالح "سيدي قاسم الدَّندوقي". وكان الهدف من خلالها إصلاح ذات البين، وتسويق منتوج التّمور، فبعد جني أول محصول من تمور"التِّينيسين"، يجتمع الناس ولذلك سمِّيت بالحضرة. فإذا اكتمل أعضاء مجلس رجال الملاح نادى مناديهم مُردِّدًا قصيدة شهيرة مطلعها:

أولادكُمْ هــُمَلاءْ وَللِّي فيهَ ٱلخيرْ يتْولىّ

فرجال الخَشَّان، هم أهلُ النَّخيل الذين يتعهّدون النَّخلة بالغراسة والعناية التَّامة، بينما أولادكم هُملاء، أي أولادكم هم مُتفرِّقون في قصور وادي ريغ، وللِّي فيه الخير يتولىّ معناه يتْولى رئاسة المجلس وإدارة شؤونه. بعد هذا يبدأ المجلس في بثّ القضايا، وفضّ المنازعات وقضاء مصالح الناس، فينصفون المظلوم من الظَّالم، وينصفون بدعوة رجال الملاح ثم تتلى فاتحة الكتاب، ويفترق المجلس على أمل اللِّقاء في الموسم المقبل. وهكذا كانت حضرة رجال لَمْلاح تجوب قصور وادي ريغ كلّه في ظرف (33) يوما ذهابًا وإيابًا، من رأس الوادي إلى سيدي بوحنية[20]. لكن هذه الحضرة، ومثيلاتها تحوَّلت عن مسارها بعد دخول الاستدمار الفرنسي، ولم تعد تلعب أدوارها التي أُسِّست من أجلها. لذا فإنَّ ارتباط الشِّعر الملحون في منطقة وادي ريغ بالحضرة، والعمَّارية (سيدي عمَّار) هو ارتباط وثيق. وكما ارتبط الشِّعر الملحون بالتَّصوف، فقد ارتبط بالغناء والإنشاد في عديد من المناسبات. ففي الحضرة، تتداول وإلى اليوم عديدًا من القصائد المغنَّاة منها:

أنَا راقَدْ بالنُّومْ أنَا رَاقدْ بالنُّومْ
جَاني شيخْ يطُلْ عليَّ قَالي اتْقعَّدْ قُومْ

وكذلك: وعْليكمْ راني أنَّادي وعْليكمْ راني أنَّادي
وعْليكمْ راني أنَّادي رجَالَ ٱلخَشَّانْ يَاسْيَادِي

وقصيدة: زوج حَمَامَاتْ طاروا في السَّما وعلُّوا، وغيرها من القصائد

رابعًا–من شعراء الملحون بمنطقة وادي ريغ:

إنَّ منطقة وادي ريغ، وبالرَّغم من عدم استقرارها منذ القديم، نتيجة عديد من الاضطرابات والأحداث التَّاريخيَّة، إلَّا أنّها تعتبر منطقة ولاَّدة وبامتياز للشُّعراء، سواء شعراء الملحون، أو شعراء الفصيح. ولعلَّ هذا الثَّراء والزَّخم التُّراثي والثَّقافي ما جعل الباحث عبد الحميد إبراهيم قادري ينوّهُ

بالأدب الشَّعبي في منطقة وادي ريغ قائلا: "أما في الأدب الشَّعبي خصوصًا الشِّعر الملحون، فقد برز فيه عدد من الشُّعراء رجالاً ونساءً، أصبحت أشعارهم تردّد في المجالس والحفلات منهم: القايد الأحمر صاحب القصيدة الطَّويلة التي يتوسّل فيها بأولياء وصُلاَّح منطقة وادي ريغ، وصار يُتغنَّى بها في الأعراس، والمناسبات، وتنشدها فرق المدائح الدِّينية. والشَّاعر علي بن عاليا الغمري، صاحب المقطوعات القصيرة التي يصف فيها طبائع وصفات أهل كل قرية من قرى وادي ريغ زارها ونزل ضيفًا على أهلها[21]. وإلى جانب الشَّاعر الصّوفي الأخضر بن عبد القادر الرَّاشدي، نجد ولديه بن عروس بن الأخضر، وعبد العزيز بن الأخضر، والشَّاعر بدري بن عبد الله المدني اليحياوي، والمكي العمري. أمَّا في العصر الحديث فقد برز شعراء آخرون عايشوا الثَّورة الجزائريَّة فدافعوا عن الجزائر بالنَّفس والنَّفيس، وخلّدوا كثيرًا من أحداث ووقائع هذه الثَّورة المباركة، ومن بين هؤلاء نجد الشَّاعر: غزال بوزيان، والشَّاعر عبد المجيد نصري، والشَّاعر محمد الطاهر بن دومة، (رحمهم الله). أمَّا شعراء ما بعد الاستقلال فيصعب تعدادهم، يأتي في مقدّمتهم الشَّاعر أحمد جريبيع (رحمه الله)، والشاعر سليمان جوَّادي، وبشير قيطون، والبار البار، وصلاح الدين باوية، ومحمد السَّعيد راشدي (رشيد)، وجموعي بالمصطفى، وعادل مردَّف، ومحمد مردَّف وميلود صالحي...الخ

خامسًا- نساء شاعرات، وأُخريات راويات للشِّعر الملحون:

الشِّعر الملحون في منطقة وادي ريغ، ليس حكرًا على الرِّجال فقط، بل نجد من النِّساء أيضًا من خضْن غمار الكتابة أو القول الشِّعري ورواية الأشعار. بحيث نجد"من النِّساء الشَّاعرات: أم الخير بنت الأخضر الذي يمتاز شعرها بوصف أخلاق النَّاس صفاتهم المعنوية، والشاعرة مسعودة بنت أحمد بوليف الغمرية التي عُرفت بنظم الشِّعر المنولوجي المتَّسم بالحكمة وضرب الأمثال، والمدَّاحة المتميِّزة المغنيَّة المشهورة: عسُّولي التَّنعمرية التي كانت تنشط الأفراح النّسوية ومنهنَّ الشَّاعرة الفحلة: تاتى بنت محمد بن علي اليحياوية، صاحبة القصائد الاجتماعية التي جسَّدت فيها الواقع الاجتماعي والسِّياسي الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري أيَّام الثَّورة التَّحريرية...بالإضافة إلى شاعرات المواويل والتراكيب الغزلية التي تُغنَّى في الأعراس فهنَّ كثيرات..."[22]. كما نجد أيضًا الشَّاعرة المعاصرة أمباركة دهنون، والتي كتبت الشِّعر الملحون في أغراض وموضوعات شتَّى، لاسيما الشِّعر الوطني، والاجتماعي، والتَّغني بمدح الرسول(ص).

والعجيب في الأمر أنّنا نجد شاعرات لم يسعفهنَّ الحظّ لدخول الكتاتيب والمدارس وبالتالي فهنَّ –أُمِّيّات– لا يعرفنَّ القراءة ولا الكتابة، ولكنَّهنَّ يقُلْن الشِّعر الملحون على السَّليقة وخير مثالٍ على هذا الشاعرة: الزُّهرة باوية بنت عيسى الشَّهيرة بـــ(الزُّهرة عيسى)المولودة عام 1930 بالمغيَّر. هذه السِّيدة الفاضلة تحفظ كثيرًا من الأغاني التُّراثية، وكانت تغنِّي في الأعراس ما يعرف بـــ:(الصَّراوي)، وكانت تقول الشِّعر عفويًا من حين لآخر في أشياء تثير أحاسيسها.

ومما قالته وتغنَّت به في الأعراس قصيدة في الشُّوق والحنين لابنها البِكر(كاتب هذه الأسطار) حينما فارقها لأوِّل مرَّة لأداء واجب الخدمة الوطنية، فقالت في شوقٍ إليه

اللهْ يَأتِينِي بَالصَّبَر حتَّانْ يجِينِي مَنَ الْعَسْكَرْ

ومِمَّا قالته أيضًا قصيدة تصف فيها الأزمة الغِذائية التي أصابت الجزائر في(أواخر عام1993، وبدايات عام 1994)، والتي مسَّت الأمن الغذائي حيث تمثَّلت في فقدان الدَّقيق والفرينة، ومطلع القصيدة:

أُمَّى دَايَةْ على الدَّقِيقْ مثْلُوا مَا لْقِيتَ صْدِيقْ

سادسًا–أغراض وموضوعات الشِّعر الملحون

طرق شعراء الملحون بمنطقة وادي ريغ، معظم الأغراض والموضوعات الشِّعرية التي طرقها الشُّعراء العرب منذ القديم، من ذلك:

1.6 – المدح: نستطيع القول إنَّه ينقسم إلى قسمين: القسم الأول مدح شخصيَّة الرسول(ص)، والتَّغنِّي بسيرته العطرة، أما القسم الثَّاني فيتمثَّل في المدح والتَّوسل بالأولياء الصَّالحين وأصحاب الأضرحة، ومن أمثلة مدح الرسول(ص)، تقول الشَّاعرة (مباركة دهنون) في قصيدتها"اليوم المبارك":

في كُلّ عَامَ الْمُسْلمْ يتْذكَّرْ ويـْمَجـَّدْ يُومْ فِيهْ لاَحتْ لَنْوَارْ
اِلاثْنِين الثَّاني بَعْدَ الْعَاشَرْ رَبِيْعَ الْأوَّلْ زَادَ الْمُخْتَارْ
قَبْل الْمِيلادْ أسْمُو كَانَ مْسَطَّرْ أحْمَدْ مُحَمَّد اصْطفَاهَ الْجَبَّار
خَلْقَ اللهْ الْكُلّ عَنُّو تَهْدَرْ رَسُولُ الْأُمَّةْ في كُلِّ الْأقْطَارْ
بَنْ عَبْدَ اللهْ الأوَّلْ والآخَرْ هَاشْمِي عَربِي منْ لَخْيَارْ
صَادقْ أَمينْ قلْبُو طَاهَرْ أَدَبْ وأخْلاقْ منْ صِيْفَاتُو الإِيْثَارْ[23]

فالشاعرة تستهل قصيدتها بمدح اليوم المبارك الذي صادف ميلاد أعظم خلق الله، ثم تعرِّج بعد ذلك إلى مدح شخصية الرَّسول الكريم. أمَّا من أمثلة مدح الأولياء وأصحاب الأضرحة فنعثر على قصيدة: الشَّاعر: (القايد الأحمر) التي يقول ف

يَا ربِّ صَلِّ وسَلِّمْ عَنْ طَهَ النَّبِي الْـــمُعَظَّمْ
شَفِيعِنَا زَينَ الْخَاتَمْ مُحمَّدْ صَاحَب الفُرْقَانْ
....
بِسْمِ الْكَرِيمْ بَاغِي نَبْدَهْ يَا كَرِيمْ افْتَحْ هَذَا الْعُقْدَهْ
تجهرْ العين المسْدُودهْ يَا قَادِيرْ، يَا رَحْمَانْ

2.6 –التَّصوُّف: وهو غرض ديني ينتشر بكثرة في منطقة وادي ريغ، ومردُّ هذا إلى انتشار الزَّوايَا والكتاتيب، والطُّرق الصّوفيه، وتلقِّي الشَّعراء للثَّقافة الإسلامية، ومن أمثلة شعر التَّصوف قصيدة: "كُولي كُولي يَا دُودَهْ " للشَّاعر: (الأخضر بن عبد القادر الراشدي)، حيث يقول فيها:

كُولي كُولي يَا دُودَهْ كُولي لَحْمِي وَاعْضَايَا
خَلِّيلِي رَاسَ لْسَانِي بَاهَ انْـــقَابَلْ مُولاَيَا
كُولي كُولي يَا دُودَهْ كُولي لَحْمِي وَاعْضَايَا
خَلِّيلِي رَاسَ لْسَانِي بَاهَ نذْكُرْ مُولاَيَا[24]

ويقول الشَّاعر: (جموعي بالمصطفى) في قصيده الدِّيني: "لله الحمد

لِلَّهِ الْحَمْدَ مْصرَّف الْأقْدارْ لِلَّهِ الْحَمْد جَهْرُ ومَكْتُومْ
بَحَمْدِ اللهْ تَزْكَى الْأشْعَارْ في حَمْدِ اللهْ شِعْرِي مَنْظُومْ
تَخيَّلْ خَاطْرِي جَاتَ أفْكَارْ الشِّعْرَ خْيَالْ منْ لَينَا يلُومْ
تَخيَّلْ أيَّامنَا تْصيرَ نْهَارْ تـــخيَّلْ لَيلنَا لُو يدُومْ[25]

3.6 – الحكمة: يصدر شعر الحكمة نتيجة تجارب الشَّاعر، وتأمُّلاته في الحياة، حيث يستقي منها العبر والدّروس، ثم يحاول أن يفيد غيره من هذه التَّجارب، وفي هذا يقول الشَّاعر: (أحمد جريبيع) في قصيدته: "حكمة وقياس":

كلاَمِي يَا سَامَعْ حِكْمَهْ وَقْيَاسْ عنْد لَفْحُولْ مَا فِيهَ زْيَادَهْ
وَقْت شِينْ إيْشيَّبَ الرَّاسْ وَينَ تْصُدْ تَلْقَى الْبُولاَدَهْ

مَنْ كُثْر الضُّرْ ولِّيتْ حَسَّاسْ سَبَابْ مَرْضِي نَاسْ حُسَادَةْ
الخُبزْ مَعَ الْـــمَاءْ مَرْفُوعَ الرَّاسْ وَعْلى النِّيفَ نْمُوتْ في أرْض لحْمَادَةْ[26]

ويمضي الشَّاعر على هذا المنوال، ناثرًا حكمه كاللُّؤلؤ المنثور، راسمًا فلسفة للحياة من منظوره الخاص، وفي الغرض نفسه يقول الشَّاعر: (محمد مردَّف) في قصيدته:" لو تنظر للكون".

لَوْ تنْظُرْ لِلْكونْ تبْقَى مَتْعَجَّبْ يَا سُبْحَانَ اللهْ وَاشِ خَالَقْ فِيهْ
وَاحَدْ منَ الْعِلمْ حَافَظْ الْكُتُبْ وَلُوخَرْ جَهْلُو لَجَهَنَّامَةْ مَدِّيهْ
وَاحَدْ عَطالُو رَبِّي مَالْ يَعْيَ مَا يحْسبْ لُوخَرْ الْفَقرْ وَدُورُو شَاتِيهْ
وَاحَدْ عنْدُو زَهْرَةْ منْ أوَّلْ نَظْرَةْ تَسْلبْ وَلُوخَرْ عنْدُو شُوكَةْ عَلْعَامْ أدُّقْ فِيهْ
وَاحَدْ عَنْدُو مُهْرَةْ بَسْبِيبَ مْسَبْسَبْ وَلُوخَرْ عَنْدُو بغْلَةْ وزَايدَةْ حَارنَةْ بيهْ[27]

4.6 – الغزل: وهو غرض يفتح مجالات جمَّة للتَّصوير، واشتغال الخيال وشحذ القريحة،وينصبّ على الهيام بجمال المرأة وتصوير مفاتنها، ومن أمثلة شعر الغزل قصيدة "طلَّة الزين" للشَّاعر: (البار البار)، حيث يقول فيها

وَحْدِي نصَّ اَلنَّهارْ بالْعُودَ نْخطَّطْ مَرَّةْ نرْسمْ خَطّْ، مَرَّةْ بعْضَ خْطُوط
مَا ظنِّيتَ الْوقتْ عنِّي يتْخَلَّطْ ونْوليِّ تيهَانْ في عقْلِي ملْيوُطْ
لَّما طَلَّ الزِّينْ بالزِّينَ مْخَطَّطْ عقْلِي شدُّو ليهْ خَلاَّني مَرْبُوطْ
حَسَبْتُو جَدِّيَ غْزَالْ في لَبْرُورَيْنُطّْ نُورو ضِيَ فْجَارْ لـــمَّا بَانَ خْيوُطْ
مثْلَ حـــْمَامَةْ جَاتْ للَّحَبَّ تْلقَّطْ قلْبَ الْقُمْري طارْ مَابقَالُوشَ حْطُوطْ[28]

ويقول الشَّاعر: (ميلود صالحي) في قصيدته"مرسول لخليلة"، متوسَّلا إلى طير الحمام، كي يبلِّغ سلامه وأشواقه إلى محبوبته:

طِيرْ يَا لَحْمَامْ بجْوَابِي وارْحَلْ بَلَّغَ أسْلامِي لَحَارقَةَ اكْنَاني
عَلِّي في سْـــمَاكْ بيهْ وعَجَّلْ لَفْرَاقْ زَادْ جُرْحِي دَخْلاَني
لاَقِيهَا بمَحْيَاكْ كِي لِيْهَا تَوصَل وَحيِّيهَا بسْلامْ مَنْ طِيَّ لْسَاني
عِيْدَلْهَا لخْبَارْ اصْحِيحْ ومْفَصَّلْ قُولَ لْهَا الْمَحبُوبْ مَاشِي برَّاني
قُولْهَا بُعْدَكْ عنِّـــي رَاهَ طْوَّلْ مَا نَصبْرْ عَليكَ أنْبَاتَ أنْعَاني
قُولْهَا حُبَّكْ في صَدْرِي تْهَوَّل صَدْري ضَاقْ عنِّي دَخْلَاني[29]

5.6 – الرِّثاء: وهو مدح الموتى وتعداد مناقبهم وإبراز التَّفجّع لفقدهم، واستخلاص العبر من الموت. وفي هذا المجال نعثر على قصيدة الشَّاعر: (عبد المجيد مصري) في رثاء الرَّئيس الرَّاحل جمال عبد النَّاصر حيث يقول:

القَلْبَ إلِيِّ كَانْ في سَاعَةْ ينْظَمْ مَنْظُومَةْ اتَوصَّلْ ستِّينْ
واشْ اجْرَالُوا الْيُومْ حَتَّانَ اتَّهَمْ في الْيومْ اعْجَزْ حتَّى عَنْ بيتِينْ؟
الْخبَرْ إلِيِّ جَاءْ في اللِّيلَ امْعَلْقَمْ أَنْورَ السَّاداتْ صَاحْ بكَلْمتِينْ
مُرّْ وحَنْظلْ غَازْ مَخْنقْ وسْطَ الشَّمْ عبْدَ النَّاصَرْ مَاتْ يَا لَلْحَصْرَتِينْ
أَتْسَاوَتْ لَحْرَارْ واشْتركتْ وسْطَ الْهَمّْ وَدْمُوعَ الشُّجْعَانْ تجْري عَلى الْخَدِّينْ
وَافْتَحْ لي التَّاريخ مَاهُو امْـــرَسَّمْ وَابْدَا لي منْ يُوليُو اثْنِينَ وْخَمْسِينْ[30]

6.6 – الوصف: ينصبّ على وصف العادات والتَّقاليد، ووصف المكان والطَّبيعة الصَّحراوية الخلَّابة، وفي هذا السِّياق يصف الشَّاعر: (رشيد راشدي) طريقة تحضير الشَّاي، متتبعًا جميع خطوات تحضيره حيث يقول:

التَّايْ يَا مَنْ تَسْألْ عليهْ نَاسَ الصَّحْراء يعَرْفُولُوا كَارُو
يَعَمْلُولُو دُوزانْ مَخصَّصْ لِيهْ الصَّحْرَاوي الْحُرْ شِيءْ مَا يخُصّْ في دَارُو
إبْريقَ الضِّياف مع سِنِيَّةْ ليهْ وإبريق التَّجْمَارْ مَااحْلاهْ على نَارُو
وكيسَانْ مْتْحُوفَةَ ثْواتِيهْ أضَّوي لْيْلُو مَعَ نْهَارُو
كي تذُوقو الْجودَةْ مَا تَخْطِيهْ في الْبَنَّةْ مَا تَلْقَـــاشِي اعْبَارو
تَايْ أَسْفِيرَةْ، ولَا شَعْرَةْ، نقُولَ عْلِيهْ تَايَ الْبُوحَافَرْ أخْيَارُو[31]

فالشَّاي هو الشَّراب المفضَّل عند أهالي الصّحراء، فله نكهة خاصة وتقاليد عريقة في كيفيَّة التَّحضير، وكيفيَّة تناوله، فلا تخلو منه جلسات الخِلَّان، ولا الأفراح والمناسبات، وعلى غرار وصف الشَّاي فهناك وصف النَّخلة بما تحمله من قداسة عند أهالي الصَّحراء. يقول الشَّاعر (أحمد جريبيع) رحمه الله:

النَّخْلةْ مَرْفُوعَةَ الرَّاسْ ديمَا تتْبسَّمْ يَامَحْلَى جَمَالَهَا شَادَّةْ وكَيْ تَطْوَالْ
تَحْتهَا زَادْ عيسَى بَنْ مَرْيَمْ اِقْرأْ آيَتُو تَفْهَمْ لَقْوَالْ
وَاللِّي مَا يَعْرَفْهَا نَالِيهْ انْفَهَّمْ مَا يـــمْلَكْهَا كَافرْ زينَةْ لَصْيَالْ

غَرسْ وَدَقْلَةْ بَيضَةْ وَعَمَّارِي أدْهَمْ أَرَشْتِي وَحـــَمْرَايْ وثْلاثِينَ دْقَالْ[32]

7.6 – الشَّوق والحنين: كتب شعراء وادي ريغ في هذا الموضوع، فمنهم من يتشوّق إلى زيارة البقاع المقدسة، والوقوف عند قبر الرَّسول(ص)، ومنهم من تشوَّق إلى الوطن مسقط الرَّأس. يقول الشَّاعر: (بشير قيطون) متشوّقًا إلى الحبيب المصطفى في قصيدته: "أنا ليك باغي نغْدى مع الزَّائرين يا محمد".

بسْمِ اللهْ أنَا بقُولي نَبْدَا عنَّكْ يَا رَسُولْ بَاغِي نْشَدْ
أنَا ليكْ بَاغِي نُغْدَى مَع الزَّائرينْ يَا مُحَمَّدْ
أنَا لِيكْ بَاغِي نُغْدَى مَعَ الزَّائِرينْ يَا مُحَمَّدْ[33]

كما نعثر أيضًا على قصائد الشَّوق والحنين إلى الوطن، ومسقط الرَّأس بالتَّحديد، مثلما نجده عند الشَّاعر: (صلاح الدين باوية) حيث يقول في قصيدته: "سُوق يا شيفور"

سُوقْ يَا شِيفُورْ واقْصَدْ لَمْغَيَّرْ أتْوحَّشْت الدَّارْ قَلْبِي رَاهُو طَابْ
رَفْرَفْ مثْلَ الطِّيرْ واحْذرْ تَتْأخَّرْ شُوقي مثْلَ النَّارْ سَكْنَتْلِي لَعْصَاب
قَلْبِي مَنْ ذَا الْحُبْ رَاهُو يَتْعَصَّرْ في حُبُّو مَسْكِينْ عَايَشْ في لَعْذَابْ
صَادقْ يَا شِيفُورْ عَنْ حُبِّي نْهْدَرْ وَالْقَلْبَ الْمَعْلُولْ رشَّاتُو لَوصَابْ
لاَني مثْلَ الْغَيرْ لبْلادِي نَنْكُرْ لاَني مثْلَ الْغَيرْ في كْلامِي كَذَّابْ
لاَني يَا شِيفُورْ في حُبِّـــي مْزَهَّرْ مَا جَانِي مَرْسُولْ، مَارَدُّولي اجْوَابْ[34]

8.6 – شعر الثَّورة: يتمثَّل في وصف أحداثها والتَّأريخ لها، وتحفيز وتعبئة الجماهير للدِّفاع عن الوطن بالغالي والنَّفيس، من ذلك قول الشَّاعر: بوزيان غزال (رحمه الله) في قصيدته: "بسم الثّورة" حيث يقول:

بسْمَ الثَّورَةْ تَبْتَتْ كَلْمَتْنَا وَيَاعِبَادَ اللهْ كُونُـــوا مُخْلِصِينْ
كَلْمَةَ التَّوحِيدْ هِيَّ جـــَمْلَتْنَا وَالأَعْمَالَ الصَّالحَةْ عَنْهَا مَسْؤُولِينْ
الأعْمَالَ الصَّالحةْ تَضْمَنَ مْعِيشَتْنَا بَدَمَّ الشُّهَدَاءْ صَبَحْنَا مُسْتَقِلِّينْ
بسْم الشُّهَدَاءْ احْـــنَا صَوَّتْنَا وَطَبَّقْنَا التَّخْطِيطْ في الرَّبْعَة وسَبْعِينْ
كُنَّا في لَهْوَالْ لاَ مَنْ يَعْرفْ قِيمَتْنَا كُنَّا في اسْتِعْمَارْ وَاحْنَا مَمْلُوكِينْ
يَحْيَا التَّارِيخ شِيَّعْ حُرْمَتْنَا وَلاَ نَنْسَى التَّارِيخْ في الرَّبْعَة وخْمِسِينْ[35]

وعلى هذا المنوال يواصل الشَّاعر تمجيده للثَّورة التَّحريرية، مع أن شعر الثَّورة لم يتوقَّف عند من عايشها فحسب، بل نجد من جيل الاستقلال من تفاعل معها رغم بعد المسافة الزَّمنية مثلما فعل الشَّاعر الشَّاب (عادل مردَّف) في قصيدته: "سجِّل يا تاريخ"، حيث يقول:

سَجَّلْ يَا تَارِيخْ بعُودَانَ ٱلعَنْبَرْ قِصَّةْ شَعْبَ عْزِيزْ عُمْرُو مَا سَلَّمْ
الرُّجْلَةْ والنِّيفْ في سَدْرُو تَحْفَرْ وَالعزّْ علىَ جْبِينُو مَرْسُومْ وَمْوشَّمْ
ذَاقَ المرّْ وشَافْ ظُلْمَ ٱلمسْتدْمرْ لَكنُّو مَا خَانْ،لاَ ذَلّْ للْمُجْرْمْ
عَامْ رَبْعَةَ وْخَمسين قَامَ الشَّعْبَ ٱلحرّْ في جْبَلَ ٱلأوْرَاسْ وٱلبَارُودْ دَمْدَمْ
جَبَلْ لَوْرَاسَ شْعَـــلْ باللهُ أَكْبَرْ في وَجْهَ ٱلكُفَّارْ والرَّصَاصَ تْكَلَّمْ[36]

هذه إذًا عيِّنة من بعض النَّماذج الشِّعرية، في مختلف الأغراض والمواضيع التي عالجها الشُّعراء، وهي بطبيعة الحال غيضٌ من فيضٍ. ولا يُمكنُنا إلاَّ أن نُعرِّج في هذه الدِّراسة، إلى فنَّاني منطقة وادي ريغ في العصر الحديث، فقد كان جلُّهُم يكتبُ الشِّعر الملحون، ثمَّ يقوم بتلحينه، ثم غنائهِ، ومن بين هؤلاء الفنَّانين نجد الفنَّان: "السَّعيد بوعقَّة" وقصائده الذَّائعة الصِّيت مثل: "محلاها عيشة الفلاح". كما نجد الفنان: "جاب الله قادري" وقصائدهُ: "أمُّ البُلْدَانْ أَلمْغَيَّر" "خَسَارَةْ فِيكْ كلْمَةْ سِيدي"، "يومَ ٱلفَرحْ رَاهْ جَانَا"، "وَحْلِيلَكْ يَا ٱلمَسْكِينْ وَحْلِيلَكْ يَا الزَّوَالِي" "جَمْعَتْ لَحْبَابْ وَجَاتْ مَنْ كُلِّ قْبِيلةْ"، "الدُّنْيَا عْجَايبْ وغْرَايبْ" والتي يقول فيها:

الدُّنْيَا عْجَايَبْ وَغْرَايَب وَٱلعِيـــنْ تَرَى وْتْشُـــوفْ
إِلِّي يخْطَبْ يَرْجَعْ خَايَبْ طَلْبُوا عْلِيهْ مَلْيَارَ ألوفْ

والفنان "مُحمَّد قرار"، ومن بين كلماته: "قُولُو لَوخيَّة رَانِي جيتْ"، وكذلك

ذِيـــكَ الـــدَّار ٱلبَاهِـــيَّةْ أَشْحَـــــــالْ فِيهَا زِينِنْ
طَلَّتْ نَجْمَةَ ضَاوِيَّةْ سَلَبَتْ عَقْلِي في ٱلحِينْ

ونجد الفنَّان الضَّرير: "محمَّد جاب الله" شيخ الأغنيَّة الفلكلورية، وقصائدهُ الشَّهيرة منها: "هَزِّي شَعْرَك يا طفْلةْ"، "شَاتِي نَحوَّسْ قسنطينة"، "هذا العام أدَّمرْنَا"، والتي ألَّفهَا على إثر الأزمة الغذائية بالجزائر سنة 1993م، حيث يقول فيها:

هَـــذَا ٱلعَـــامَ أدَّمَّـــرْنَا هَذا ٱلعَـــامَ أدَّمَّـــرْنَا
هَـــذَا ٱلعَـــامَ أدَّمّـــرْنَا يَا رَبِّ فَـــرَّجْ عَـــنَّا

كي رَحْتَ ٱلْقَالُورِي في لَاشَـــانْ دَزُّونِي
في لَاشَـــانْ دَزُّونِي قَالُـــــولِي بَعَّـــدْ مَنَّـــا

كما نجد الموسيقار المرحوم "محمَّد بوليفة"، وقد كتبَ كثيرًا من قصائد الشِّعر الملحون، ولحَّنَها، وأدَّاها، منها: "الأيَّام"، "دالة بدالة"، "هيَّا نتسامح"، "حتَّى شي ما فات"، "عَيِّت نقول لك لا لا"، "لو كلّ النَّاسَ تْحَبّْ"، "مَاتْحيَّرْنيش خلِّيني في راحَةْ بَالي"...الخ.

أمَّا بالنسبة لأهمِّ وأبرز الخصائص الفنِّية للشِّعر الملحون في منطقة وادي ريغ ، فيمكن أن نجملها فيما يلي:

سابعًا- الخصائص الفنِّية للشِّعر الملحون في منطقة وادي ريغ:

يتميَّز الشِّعر الملحون بمنطقة وادي ريغ بخصائص فنِّية لعلَّ أهمّها:

1.7 – **الاحتفاء بالمكان:** نجد قصائد عديدة تتغنَّى بقرى ومداشر وادي ريغ من رأس الوادي إلى سيدي بوحنية. – وعلى سبيل المثال لا الحصر- يقول الشَّاعر عادل مردَّف في قصيدته:" هذا أصلي".

رَحْمَاني من **سْطِيلْ** للنُّوّار ننْسبْ خَوالي خِيارَ النَّاسْ مِنْ أرْضَ **ٱلبعَّاجْ**

ويقول الشَّاعر أحمد جريبيع في قصيدته: " مسقط الرَّاس"

مَسْقط الرَّاسْ بذَاتها **لَمْغيَّرْ** حُبّها فالدَّمْ سكَنْ يَا رُجَّالَةْ

ويقول الشاعر محمد السَّعيد راشدي في قصيدته "جَامعة الحبيبة":

دُرّة وادِي ريغْ مَا نْبِيعْهَا بَاسْعَارْ نَقُولَ عْليكْ يَا **جَامعَةْ** مَا ليكَ مْثِيلْ

ويقول الشَّاعر الجموعي بالمصطفى في قصيدته: " تُقّرت تَتْحبِّي"

تُقُّرت تَتْحَبِّـــي بَحْرارَهْ مَحْبُوبَةْ وَحُبَّك إيـــْمَانْ

ويتغنَّى الشَّاعر محمد بن علي صندالي في قصيدته: "سيدي سليمان"

أبْلادْ معْرُوفْ بالجُودْ مُولاهْ مَيخْفَاشْ أَعْليكْ قُلْ **سيْدِي سْلِيمَانْ**

ويقول الشاعر القايد الأحمر رحمه الله مؤرِّخًا لمقر سكناه:

في **لَمْقَرينْ** سكْنَى دَارُوا فيهَا أوْلادُو صَبْيَانْ

تمثّل هذه الأماكن (سطيل، البعّاج، المغيّر، جامعة، تقّرت، سيدي سليمان، لمقرين..) وغيرها، قرى ومداشر منطقة وادي ريغ. فكلُّ شاعر يحتفي بمسقط رأسه وموطن ذكرياته، أو مقر سكناه، احتفاءً كبيرًا.

2.7 – النَّزعة الدِّينيَّة في قصائد المدح والتَّصوف: لعلَّ من بين أهمِّ الملاحظات التي يسجّلها المتلقِّي لهذا الشِّعر، الحضور الطَّاغي للنَّزعة الدِّينية، وتتجلَّى في كثرة المدائح الدِّينية لشخصيَّة الرَّسول (ص)، مناجاة الله والأولياء الصَّالحين، وأصحاب الأضرحة، الاحتفاء بموسم الحجّ، والتَّشوّق إلى زيارة البقاع المقدَّسة، ولعلَّ من أمثلة هذه النَّزعة الدِّينية قول الشَّاعر: "بشير قيطون" في مطلع قصيدته: " صلُّوا على محمَّد (ص)":

صلُّوا عَلى مُـحمَّـــــــــدْ صلُّوا اعليهْ زيدُوا زيدُوا
صَلُّوا عليهْ طَهَ لَـــمْجَدْ قَدْ أنْخيلْ قَدْ اجْريدُوا
صَلُّوا عليهْ قدّ الرَّمْلةْ قَدّ أجْرَادْ وسْطَ ٱلخملةْ
قدّ ٱلهُوشْ عَدتْ جمْلةْ سيد أرسول ربِّي أزيدُوا[37]

وقول الشَّاعر:"الجموعي بالمصطفى" في مطلع قصيدته: "طَلبْتَكْ يالله"

طَلبْتَكْ يا اللهْ ٱلغَفُورْ تَغْفرْ مَا دَرْنَا مَحذُورْ
عفْوَكْ في كْتَابكْ مَذْكُورْ يَا عَالمْ سَرّ الضَّمَايرْ
حَاسَبْهَا أيَّامْ وَشْهُورْ وَسْنِينَ طْوِيلَةْ وَدْهُورْ
ذُنُوبِي مَنْهَا مَذْعُورْ مَتْفَكَّرْ ٱلـــمُوتْ زَايرْ[38]

وقول الشّيخ: " اللُّقاني هبَّاز"، متشوِّقًا إلى زيارة قبر الرَّسول (ص).

خُوتي لَا تلُومُ عليَّ خُوتي لَا تلُومُ عليَّ
خُوتي لَا تلُومُ عليَّ حُبّ النَّبِيَّ تْمكَّنْ فيَّ
بِسْمِ اللهْ بَادِي كَلَامِي لِمُحَمَّدْ نْهْدِي سْلَامِي
رَبِّ بلِّغْ مَرَامِي نَزُورْ خيرَ ٱلبَريَّا

3.7 – بدء القصيدة "بالبسملة" في الفاتحة النّصِّية: يبتدئ الشَّاعر– غالبًا– قصيدته في الفاتحة النَّصيّة "بالبسملة"، أو "الحمد الله". ومثال على هذا قول الشَّاعر: "جموعي بالمصطفى" في مطلع قصيدته: "الشَّهر الكريم":

بسْمِ اللهْ بْدِيتَ قْصِيدةْ مَلْحُونَةْ في الشَّهرِ الْكَرِيمْ اللِّي عَظَّمْنَاهْ[39]

وقوله في مطلع قصيدته: "لِفَرِيقِنَا نَهْدي سلامي":

بِسْمِ اللهْ نبْدَا كَلامي لِفَرِيقَنَا نَـــهْدِي سْلامِي[40]

وفي الخاصيَّة الفنِّية نفسِها، يقول الشَّاعر: " محمد بن علي صندالي"، في مطلع قصيدته: "عيد الاستقلال":

نَبْدا بِاسْمِ اللهْ صَاحبَ الْجَلالِ والصَّلاةْ عَلى النَّبِي سيدَ الزُّهْرَهْ[41]

ويقول في مطلع قصيدته: "الحبّ الخالد":

نَبْدا بِاسْمِ اللهْ مُولايَ الرَّحمَانْ أنَا دِيما في رَحـــمْته نَتْرجَّاهَا[42]

ونجد الشَّاعر "بشير قيطون" لا يشذّ عن هذه الخاصيّة مثل باقي الشُّعراء، حيث يقول في مطلع قصيدته: "أنا ليك باغي نغدى مَع الزَّائرين يا محمّد":

بِسْمِ اللهْ أنَا ابقُولي نَبْدَا عَنَّكْ يَا رَسُولْ بَاغِي نَنْشَدْ[43]

وتتردّد البسملة عنده في كثير من افتتاحيات قصائده، فها هو يفتتح مطلع قصيدته "قصّة يوسف عليه السَّلام" بقوله:

بِسْمِ اللهْ ابديتْ يَا رَبِّي كمَّلْ مَا نَنْوي في خَاطِرِي بَاقي نَسْعَاهْ[44]

نستشف أنَّ بدء القصيدة "بالبسملة" هي خاصيَّة فنِّية من خاصيات شعراء منطقة وادي ريغ. وقد يشترك فيها معهم شعراء جزائريون من مناطق أخرى

4.7 – إنهاء القصيدة بالتَّأريخ لها، في الخاتمة النّصِّية: ينهي شَاعر الملحون – غالبا– قصيدته في الخاتمة النَّصيّة بالتَّأريخ لها، عن طريق كتابة اسمه، أو لقبه، أو تاريخ كتابة القصيدة، أو مكان كتابتها، أو ذكر عرشه ونسبه وانتماءاته، وفي هذا المجال يختتم الشَّاعر: "بشير قيطون" قصيدته: "خبل غزلي ريم" بذكر لقبه، واسمه، وموطن أجداده، حيث يقول:

كَاتَبْ ذَا الْأبْيَاتْ من برِّ **احْجِيرةْ** **قِيطُونَ الْبَشِيرْ** هَذَا عُنْواني[45]

ويختتم كذلك قصيدته "يا سَايل عن ورقلة" قائلا:

وَاللِّي جَابَ الْقُولْ عَنَّكْ شِيخْ افْحَلْ **قِيطُونَ الْبَشِيرْ** شَاعركْ يَا وَرَجْلَانْ[46]

وهكذا لا يتوانى الشَّاعر: "بَشِيرْ قِيطُون"، عن إيراد اسمه ولقبه في جلِّ خواتم قصائده فكأنَّ هذا الفعل هو ترسيمٌ لقصيدة الشَّعر الملحون، حتى لا تضيع بين الرُّواة، عن طريق الرِّوايات الشّفاهية، حيث يقول في آخر قصيدته: "على فراش الموت":

والشَّاعَرْ **قِيطُونْ** مَنْ لِيهَا نْظَمْ مَنَّكْ يَا رَحْمانْ ذَا طَالبْ لَرْضَاكْ

بَاصْلاةِ الْمُخْتارْ قُولِي هَذَا تَمْ فَاسْمعْ يَا رَبِّي الشَّاعَر يُومَ ادْعَاكْ[47]

كما نجد الشَّاعر "أحمد جريبيع"، (رحمه الله) لا ينفكُّ أيضًا يذكر في خواتم قصائده اسمه، ولقبه، وعرشه، ومدينته،... يقول في خاتمة قصيدته: "الدُّنيا والوقت يغدر".

جرِيبِيعْ جَابْ على الْماضِي عبَّرْ مَسْقطْ رَاسُو **لَمْغَيَّرْ**هَاذاك المكَانْ[48]

ويقول أيضًا الشَّاعر "أحمد جريبيع" في خاتمة قصيدته: : شُكرًا يا تَكريت"

والشَّاعرْ في حقُّ مَا يَسَلَّمْ تَسْلامْ حَقّ **جْرِيبِيعْ** سلَكْ في ذَا الْمَقَالْ[49]

ولا يقف الشَّاعر عند هذا الحدّ، بل نجده يذكر مدينته، ولقبه، ونسبه في خاتمة قصيدته: "هذه هي الحقيقة"، حيث يقول:

وَالشَّاعَرْ **مَغِيرِي** زِينَ السِّيرةْ وَجْرِيبِيعْ لَعرَّشَ **الدَّرايَسَةْ** يَنْسَابْ[50]

وتنهي الشَّاعرة "مباركة دهنون"، قصيدتها "مونديال الأبطال" بذكر اسمها، ولقبها، ومقر سكناها قائلة: مَنْ جَابَ الْقَصيدْ يَا سَامْعِينْ **مبَاركَةْ دَهْنُونْ لمغيَّرْ** لِيهَا عُنْوانْ

وَلا يتوانَى الشَّاعر"محمَّد مردَّف" المعروف بـــ"عجيل" من ذكر لقبه، وأصله، وكنيته المعروف بها، يقول في خاتمة قصيدته: "اسطيل العطرة"

كَاتَبْ الْأبياتْ بلْسَانَ مْهَذَّبْ في النَّقْمةْ **مَرَدَّفْ** والْأصْل **رَحْمَاني**

5.7- حضور تيمة الصَّحراء: نجد حضورًا مُكثَّفًا لتيمَة الصَّحراء عند شعراء وادي ريغ بداية من عناوين قصائدهم، حيث نعثر على توظيف: (النَّخلة ومشتقاتها، الجمل، الخيمة ولوازمها، الفرس والفروسية، البادية، الغنم، الجربوع، مراحل ونجوع، الشَّاي، الرَّمل الغزلان....الخ). ولعلَّ خير مَا نمثِّل به في هذا المجال، قصيدة: "مَتْشوَّق للبَدْو" للشَّاعرأحمد جريبيع (رحمه الله) حيث يقول:

متْشوَّقْ **للبَدْو** شَاتي نَلْحَقْ مَنْ صُغْري انْحبَّ **الصَّحْرَاء** والتَّجْوالْ

عشْقِي في **مْرَاحِيلْ** ونْجوعَ اتَّهقْ صِيَّادينَ **الْعُشْبَةْ** وينْ تَظْهَرْ فَالْ

أَهْلَ **النَّعْجةْ وَخْرُوف** اليِّ في الرَّبقْ كسَّابِينْ **لَدْهَمْ والثَّلبَ** الصّوَّالْ

يَا مَحْلَا بُيوتُـــهمْ زِينِينَ النُّقْ مَنْ عَادَةْ العْرَبْ **لِلْخِيمَةْ** يَدِيرو لحبَالْ
تَسْتَغْرَبْ فِي الْـــحُرَّةْ كيفَاهْ اتَروَّقْ **بالحَلْفَةْ** وَمَتْنَانْ مَا يبَانْ لَخـــيَالْ
فِي وسْطَهَا انْصِيبْ **لَرْوِي** مَدَرَّقْ **اجْدَيَّتْ لَدْمِي وَنْعَامْ** مْحمِي بَرْجَالْ

فما كلمات: "البَدْو، الصَّحراء، المراحيل، العشبة، النَّعجة، لخروف، لدهم، الثَّلب الخيمة، الحلفة، لروي، جَدْي لدْمِي، النّعام، لْحَبَار، لرنب، الحجلة...الخ". كلُّ هذه المضارب والأماكن، وأسماء الحيوانات، تمثِّل تيمة الصَّحراء – ممَّا لا شكَّ فيه– بامتياز، لذلك يحنُّ ويتشوّق إليها الشَّاعر.

6.7- الاحتفاء بالأحداث: نجد الاحتفاء الشَّديد بالأحداث المحليَّة، والوطنيَّة والأحداث العربية، والإسلاميَّة. ولا أدلّ على هذا من قصيدة: "القطار" للشَّاعر بوزيان غزال (رحمه الله)، والتي تؤرِّخ لحادثة سقوط قطار المسافرين بين بسكرة والمغيَّر، بالمكان المسمَّى: "عين الدَّابة"، وأيضًا قصيدته: "الثَّورة الزِّراعية"، والتي تؤرِّخ وتنتقد سلبيات مشروع الثَّورة الزِّراعية بالجزائر المستقلة، كما نعثر على قصيدة للشَّاعر: عبد المجيد مصري (رحمه الله) في رثاء الرَّئيس جمال عبد الناصر، وقصيدة:"فردة الزِّيدي" للشَّاعرة: (مباركة دهنون). ناهيك عن قصائد كثيرة تتغنَّى وتؤرِّخ لأحداث الثَّورة التَّحريرية الجزائرية، ممَّا يدلّ على مدى اهتمام ووعي الشَّاعر بالأحداث التي تجري حوله، وعدم وقوفه حيالها وقوفًا سلبيًّا.

7.7 – الاهتمام بمختلف القضايا: نجد اهتمامًا كبيرًا من طرف الشُّعراء بمختلف القضايا، وقد تكون هذه القضايا اجتماعية، سياسية، ثقافية، اقتصادية، محلية، وطنية، دولية إنسانية، ومن مثل هذه القصائد: "ضاع شبابنا"، و"شكرًا تكريت" و"الكُرة فنّ"، للشَّاعر أحمد جريبيع، وقصائد:"نوموا نوموا يا عرب"، و"جراحات زوجة"، و"همّ القفة"، و"غزَّة تحت النَّار" و" مساجلة بين ضرَّتين"، للشَّاعر بشير قيطون، وقصيدتي:"غزَّة"، و"أحكي يا مهاجر"، للشَّاعرة مباركة دهنون، وقصائد:"يكفيك الإدمان"، و"إرهاب"، و"الأقصى في قلوبنا"، و"الدَّم العربي" للشاعر الجموعي بالمصطفى، وقصيدة: "الشِّعر"، و"المتمرِّدة" للشَّاعر البار البار، وقصائد :"جيل 2015"، و"عيد الحُبّ"، و" المعلِّم الغشَّاش" للشاعر عادل مردف. وقصائد:" الوئام المدني" "فيضانات باب الواد"، "بيدون الزِّيت" للشاعر محمد بن علي صندالي، وقصيدة: "لَـــمْيَار" للشَّاعر محمَّد مردَّف.كلّ هذه القصائد وغيرها تتناول قضايا جمَّة، مختلفة الطَّرح والرُّؤى.

8.7 – **تجلّيات التّناص:** يتجلّى التّناص في كثيرٍ من قصائد الشُّعراء، وهذا مع نصوص القرآن الكريم، والأحاديث النّبوية الشّريفة، والشّعر العربي في مختلف عصوره. وهذا إن دلّ على شيءٍ، فإنّما يدلّ على مدى استيعاب الشُّعراء لتراثهم الدّيني والشّعري، والعودة إليه للاغتراف منه في كلّ حين. هذا ويوظّف الشُّعراء أيضًا، الشّخصيات والرّموز الدّينية والتّاريخية بشيءٍ ملفت للنّظر. ولابأس في هذا الباب، إذا مثّلنا ببعض نماذج "التّناص" عند الشّاعر: أحمد جريبيع، حيث يقول هذا الأخير في قصيدته الموسومة بـــ: "الوداع":

ذَاكْ يَرْدَمْ، ذَاكْ لِيهْ إِيْوَجَّدْ قَنَاطَرْ منَ التَّرابْ عليهَ ثْقِيلْ
منْهَا خْلّقْ وَيرْجَعْ لِيهَا ثْأكّدْ منْهَا يَخْرجْ إِلِيّ فَارَحْ وذْلِيلْ

فقوله هذا مأخوذٌ من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارةً أُخْرَى﴾، (سورة طه، آية55). ويقول الشّاعر أحمد جريبيع أيضا في قصيدته: "في ذا العصر". أنْقُولَ الْحَقّْ ولُو رَاسِي إِيْطِيرْ مَعِيْشَتْهُمْ جِيْفَةْ وحُوشَ الْغَابَةْ[51]

قوله هذا مأخوذٌ من الحديث النّبوي الشّريف: " قُلِ الْحَقَّ ولُو كَانَ مُرًّا"، أخرجه الإمام أحمد(5/159)، وابن حبّان(2041)، والبيهقي(10/91)، وغيرهم عن أبي ذرٍّ- مطولًا- وفيه من وصايا الرسول(صلّى الله عليه وسلّم) لأبي ذرٍّ (رضي الله عنه) "..وأمرني أن أقولَ الْحَقَّ ولُو كَانَ مُرًّا". وهو حديث صحيحٌ كما فصله بطرقهِ وشواهدهِ الشّيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله- في "سلسلة الأحاديث الصحيحة"(2166). ويقول الشّاعرُ نفسُهُ في قصيدته: "مْتْشوَّق للبدو":

نوصِّيكْ عَسَّ الْسَانَكْ لَا يَزْلَقْ وَاسْتَحْذرْ يَا غَالَطْ مِنَ الصِّيدَ الْقَتَّالْ

فهذا البيت الشّعري، مأخوذٌ من قول الشّاعر العربي:

اِحْفظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ

ويقول الشّاعر أحمد جريبيع في قصيدته: "الوداع"

واللّي طَابْ زَرْعُو إِيْقُولُو يَحصَدْ يَعْزَمْ فَالنَّهَارْ قَبْلَ اللّيلْ[52]

وهذا مأخوذٌ من المثال الشّعبي الجزائري،" إِللّي طَابْ زَرْعُو يتَّحْصَدْ"

هذه إذًا بعض نماذج التّناص عند الشّاعر أحمد جريبيع، ونلاحظ أن الشّاعر قد أخذ واستقى من القرآن الكريم، ومن الحديث النّبوي الشّريف، وكذلك من الشّعر العربي، ومن الأمثال وهذا إن دلّ على شيءٍ، فإنّما يدلُّ على مدى سعة ثقافة هذا الشّاعر.

ثامنًا: الخاتمة

ساهم شعراء الملحون بمنطقة وادي ريغ، في نقل تجاربهم الذّاتية في معترك الحياة والتّأريخ للإنسان، وللمكان، ومجريات الأحداث عبر فترات زمنية متباعدة. حيث يظهر إلى العيان مدى الزّخم الشّعري والثّقافي الذي تتميّز به منطقة وادي ريغ، والذي يتطلّب من الباحثين بذل جهود مضاعفة لأجل جمع وتَوثيق هذا التُّراث – المَادي، واللاّمَادي–، أولًا، ثم دراسة ثَانيًا.

هوامش:

[1]– محمد الحاكم بن عون، أخبار وأيّام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم بكير بحاز، جامعة منتوري، قسنطينة، موسم: 2011/2010م، ص56.

[2]– عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد بتقرت، دار الآمال للطباعة الوادي، الجزائر، ط.1. د.ت، ص 45.

[3]– عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 44.

[4]– المرجع نفسه، ص 44.

[5]– المرجع نفسه، ص 44.

[6]– عبد الحميد إبراهيم قادري، وادي ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية دراسة تاريخية، دار الأوطان، الجزائر، ط2 2014، ص207.

[7]– المرجع نفسه، ص 207.

(*) الصواب أن يقول: عن ظهر قلب

[8]– عبد الحميد إبراهيم قادري، وادي ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية، ص 208.

[9] – محمد الطّاهر عبد الجواد، عاصمة وادي ريغ (تقرت) أيام بني جلّاب، محاضرة ضمن كتاب الملتقى التّاريخي الثّالث فترة حكم بني جلّاب بمنطقة وادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء للشّهيد، الآمال للطباعة، الوادي، ط1 د.ت، ص 58.

[10]– محمد الحاكم بن عون، أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، ص59.

[11]– إبراهيم محمد السّاسي العوامر، الصُّروف في تاريخ الصّحراء وسوف، تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر المعارف للطباعة، د.ب، د.ط، د.ت، ص 28.

[12]– المرجع نفسه، ص 28.

[13]– المرجع نفسه، ص 29.

[14]– المرجع نفسه، ص 29، 30.

[15]– محمد الحاكم بن عون، أخبار وأيام وادي ريغ للشّيخ محمد الطاهر بن دومة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، ص59.

[16]– ينظر محمد الطّاهر عبد الجوّاد، عاصمة وادي ريغ (تقّرت) أيّام بني جلّاب، محاضرة ضمن كتاب الملتقى التاريخي الثالث فترة حكم بني جلّاب بمنطقة وادي ريغ، تمميش ص 58 ،59 .

[17]– نقلا عن الأستاذ الباحث: بوعلام بادو، يوم الجمعة 04 جانفي 2019، على الساعة: 21:48 دقيقة.

[18]– المرجع نفسه.

[19]– صلاح الدين باوية، إلياذة وادي ريغ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط.1، 2009، ص63 64.

[20]–ينظر مجلة حضرة رجال الحشّان، (العدد التّجريبي)، جمعية أعيان بلدية تبسبست، تقرت، 2015، ص7 ،8 ،9.

[21]– عبد الحميد إبراهيم قادري، وادي ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية دراسة تاريخية، ص 224.

[22]– المرجع نفسه، ص 226.

[23]– دهنون أمباركة، قصيدة "اليوم المبارك"، وقصائد أخرى مع نبذة عن تجربتها الشّعرية، زوّدتنا بها الشّاعرة في لقاء معها أثناء عكاظية الشّعر الأولى بالمغيّر: مارس 2015.

[24]– عبد الحميد إبراهيم قادري، وادي ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية دراسة تاريخية، ص224.

[25]– بالمصطفى جموعي، واحة الأنس(شعر شعبي حداثي)، من إصدارات جمعية رياض الأنس للثقافة والفنون الغنائية والدرامية بالنزلة تقرت، مطبعة مزوار، الوادي، ط.1، 2011، ص 06.

[26]– أحمد جريبيع، حكمة وقياس(شعر شعبي)، منشورات مديرية الثقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار، الوادي ط1، 2012، ص10.

[27]– محمد مردّف، قصيدة: "لو تنظر للكون"وقصائد أخرى مع نبذة عن تجربته الشّعرية، زوّدنا بها الشّاعر في لقاء معه أثناء عكاظية الشّعر الأولى بالمغيّر: مارس 2015.

[28]– البار البار، قصيدة: "طلّة الزّين" وقصائد أخرى، زوّدنا بها الشّاعر نفسه.

[29]– ميلود صالحي، (أرض عشق وأشياء أخر)، ديوان مخطوط يحتوي على ثلاث قصائد من الشّعر الملحون وباقي قصائده من الشّعر الفصيح زوّدنا به الشّاعر منذ التّسعينيّات كما أضاف لنا نبذة عن حياته وتجربته الشّعرية شهر مارس 2015.

[30]– لقاء مع السّيد (كمال مصري) نجل الشاعر عبد المجيد مصري، أجري اللّقاء بمنزل العائلة الكائن ببلدية جامعة يوم الأحد: 2015/12/27 من الساعة 09:30 صباحًا إلى غاية الساعة 14:00 مساءً، وقد زوّدنا بكثير من قصائد والده، وسيرته الذاتية.

[31]– عدَّة لقاءات مع الشَّاعر محمد السَّعيد راشدي(رشيد) بمقر عمله: "بيت الشَّباب جامعة" منها لقاء يوم الأحد 2015/12/27 مساءً، حيث أمدَّنا ببعض قصائده.

[32]– أحمد جريبيع، حكمة وقياس(شعر شعبي)، ص22.

[33]– بشير قيطون، همسة شاعر(قصائد من الشعر الشعبي)، إشراف مديرية الثَّقافة لولاية ورقلة، طباعة منشورات السَّائحي، القبّة الجزائر، ط.1، 2010، ص 31.

[34]– صلاح الدين باوية، قصيدة "سوق يا شيفور واقصد لمغير"، ديوان " أهازيج شعبيَّة" مخطوط.

[35]– تحصَّلنا على بعض إنتاج الشَّاعر بوزيان غزال (رحمه الله)، عن طريق الشَّاعر أحمد جريبيع (رحمه الله) الذي أمدَّنا بثلاث قصائد هي: بسم الثَّورة، الثَّورة الزراعية، القطار.

[36]– أمدَّنا الشَّاعر: عادل مردَّف بمجموعة من قصائده، في لقاء جمعنا به بمدينة المغيَّر.

[37]– بشير قيطون ، همسة شاعر (قصائد من الشِّعر الشَّعبي)، ص 63.

[38]– الجموعي بالمصطفى، همسة صفاء، منشورات السَّائحي، الجزائر، ط.1، 2017، ص 11.

[39]– المصدر نفسه، ص 31.

[40]– المصدر نفسه، ص 69.

[41]– محمد بن علي صندالي، واحة الأمل (قصائد من الشِّعر الشَّعبي)، دار النُّعمان للطباعة والنشر، الجزائر ط.1، 2010، ص 31.

[42]– المصدر نفسه، ص 37.

[43]– بشير قيطون ، همسة شاعر(قصائد من الشِّعر الشَّعبي)، ص 31.

[44]– المصدر نفسه، ص 83.

[45]– المصدر نفسه، ص 24.

[46]– المصدر نفسه، ص 81.

[47]– المصدر نفسه، ص 134.

[48]– أحمد جريبيع، حكمة وقياس، ص 16.

[49]– المصدر نفسه، ص 29.

[50]– المصدر نفسه ، ص 31.

[51]– المصدر نفسه، ص 08.

[52]– المصدر نفسه، ص 09.